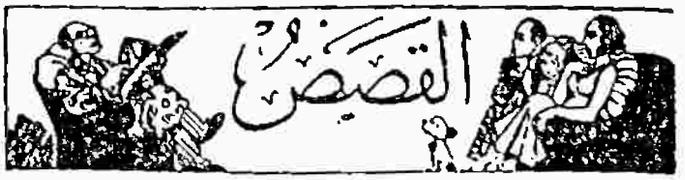

نهاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

(بقية ما نشر فى العدد الماضي)

وبعد هذه المقابلة تغيرت « نانو » على ، فراحت تبخل بتساماتها الغراء ، وباتت تقتصد بنظراتها المرجاء ... لقد سبحت « نانو » تتيه على ، وكان تيهها ذا معنى خاص لم أستطع فهمه ! ... أتراها حسبت أنى مولع بثغرها الأدرد ؟ .. أم تراها ظنت أنى مدله بوجهها الأجعد ! .. هذا مستحيل ! .. إن للحب نظرة موصدة فى أوجه الشياطين ! ... إن فى الحب نفحة سماوية لا يدركها أولئك الذين التصقوا بالأرض فلم يتجهوا بأعينهم إلى سماء ليبصروا ما أبدع الله فيها من جمال ! .. إن الحب وقف على القلوب الزاخرة بالحياة ، الشاعرة بجمال الوجود ؛ أما « نانو » فإنها بعيدة عن الحياة ... بعيدة عن الحب ... إن الحب ليلفظها بنظرة النواة ! .. إذاً ما بالها تتيه على ؟ .. هذا سر مستغلق ! .. ما أكثر ما يستغلق على المرء من أسرار ! .

ما « لنانو » ومالى !.. إنها وسيلة غير صالحة للوصول إلى آنستى . ولقد بقيت يومين أفكر ، لم أذق خلالهما طعاماً ولم أرق فى فمى شراباً . وكان من نتيجة تفكيرى أنى عولت على أن أكتب إلى آنستى رسالة أشرح فيها حبى وقمت إلى مكتبى فأمسكت بالقلم وأخذت أشرح ما يخامرنى من أشواق . ثم ختمت الرسالة بالكلمة التالية : « أى آنستى ! ... إنى لأرجو منك أن تعليني رأيك صريحا ... فإما قبول أنعم فيه بمعطفك ، وإما رفض يبرئنى من حبك ... وإنى لأنتظر كلمتك الفاصلة آملا أن ألقاها غداً معلقة فى مصراع الشباك ... »

ولم تكد شمس الغد تطالع حتى كنت أمام المنزل أنتظر . وبعد فترة وجيزة بصرت بالقطة الحبيبة تمد رأسها من الباب ، فلوحت لها بقطعة لحم كنت أحضرتها من السوق ، ولم تكد تراها حتى هدت نحوى فأمسكتها بيدى وربطت الرسالة فى عنقها وتركتها تعود أدراجها .

ولما كان الغد دانت إلى المنزل وأنا أقدم رجلا وأؤخر رجلا . لقد كان قلبى يخفق هلعاً ، وكانت عيناى تتشوقان وكأنهما تتحريان شيئاً مضاعاً . وكان ذهنى غارقاً فى التفكير أى غلطة هذه الغلطة التى ارتكبتها ؟ وأى حماقة هذه الحماقة التى أتيتها ؟ . وهل ثمت أكثر جنوناً من فتى يسلم سره إلى قطة ! ؟ إن كل ما كنت أخشاه هو أن تكون الرسالة قد وقعت فى يد غيرها فينفضح الأمر ، ويطلع الأهل على السر .

وما كدت أدنو من المنزل حتى لمحت قطعة من الورق معلقة فى النافذة ، ومددت يدى المرتجفة فأخذتها وفتحتها وقرأتها !.. يا للسعادة !... إنها من آنستى ... آنستى الحبيبة ... يا للعجب إنها تدعونى لمقابلتها بعد منتصف الليل فى بيتها ! .. هذا لا يكاد يصدق ... يا لله !.. أترانى فى اليقظة أم فى المنام !.. ماذا أصابها فبدلها ؟ .. وماذا عراها فغيرها ؟ .. أيكون الصدود الذى كانت تبديه مجرد وهم باطل ألجأها إليه عيون القوم المفتحة حولها ؟ هذه هى الحقيقة بعينها ... إنها تحبنى وتحبنى ولكنها لم تكن لتجرأ على البوح بهذا الحب ! ... غفرانك يا آنستى ! ... لقد اتهمتك بالقسوة ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى ، وإن بعض الظن إثم .

لقد قرأت الورقة ثم طويتها ، ورحت أنتظر الساعة الموعودة بفارغ الصبر ، ودقت الثانية عشرة ، ثم الواحدة بعد منتصف الليل ؛ فانحدرت إلى المنزل والآمال المسولة تحدونى . ولم أكد أصل الباب حتى وجدته مفتوحاً ، ولم أكد ألجه حتى وجدتنى أمام شبح لم أتبينه لشدة الظلام ... إنه ولا ريب شبح آنستى المحبوبة ...

وتقدمت منها وأنا لا أكاد أصدق نفسى ! وعرتنى رعشة من الفرح كادت تنسينى صوابى ، وانحنت آنستى علىّ وراحت تمطرنى بوابل من القبل ؛ فانتشيت من السرور ومددت يدى محاولا لمس ثغرها ... وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت أن

يدى قد دخلت فى فوهة لا قرار لها .. يا إلهى !.. أين الأسنان الناضمة ، أسنان آنستى المحبوبة ؟

وفتحت عينى وحدقت فى الثغر الذى كان يقبلنى ، إنه ثغر أورد وأمعنت النظر بالوجه الذى يقابلنى ... يا للغرابة ! ... إنه وجه « نانو » العجوز التى أبغضها . ولا يستطيع أن يتمثل خيبتى هذه إلا أولئك القامرون الذين أضاعوا فى ثانية واحدة كل ما قد ربحوه فى ساعات . لقد تبلدت عواطفى بعد اشتعالها وخمد الدم فى عروقى . وما هى إلا ساعات معدودات حتى انقلب التبلد العاطفى إلى ثورة غضب كادت تطيح بصوابى فانقضضت على « نانو » ودفعتها بيدى دفعة قوية فسقطت مغشياً عليها .

ولقد خشيت الفضيحة فحاولت أن ألوذ بالفرار ، ولكنى حين هممت بفتح الباب غشيت عيناى فلم أعد أبصر شيئاً . ولقد زاد فى ارتباكى أنى سمعت وقع أقدام متجهة نحوى ... إنه رب البيت . لقد نبهه صوت وقوع « نانو » فجاء يستطلع الخبر . يا للسكارثة ! إنه يحمل فى يده عصاً غليظة لو أهوى بها على جدار لدكه . ولقد حاولت أن أجد لنفسى مفراً ولكن سهمى قد طاش فلم أعد أدرى ما أصنع . ولم أجد بداً من طلب الأمان .

ولقد عجب رب البيت من أمرى : إن ملامحى لا تنبئ عن سوء الطوية فما الذى أتى بى إلى بيته بعد منتصف الليل ؟.. هذا سر لم يستطع له تفسيراً . وحاولت أن أقضى له بالحقيقة الواقعة ، ولكن هل يصدق أن « نانو » تحب .. إنه سيتهمنى بالجنون وسيرمينى بالكذب .. ولم أجد بداً من اللجوء إلى الحيلة فادعيت أن كلباً عقوراً تبعنى فى الشارع وحاصرنى فلم أستطع الخلاص منه . واتفق أن مررت بالقرب من باب هذا المنزل فوجدته مفتوحاً ، فولجته وسرعان ما اصطدمت بشخص ارتاع من دخولى فسقط مغشياً عليه .

وكانت « نانو » قد أفاقت من غشيتها وسمعت كلامى . ويبدو أن هذا التخلص الحسن قد أعجبها ؛ فأنبأت رب البيت بأنها قد نسيت الباب مفتوحاً منذ المساء ، وأنها استفاقت عند منتصف الليل وذكرت ما قد نسيت فخرجت تغلقه فكان أن صدفتنى .

وقد جازت هذه الحيلة على رب البيت فأحسن بى الظن ، ورثى لحالى ، وطيب خاطرى ثم فتح لى الباب ، وتركنى أنصرف بسلام .

ولقد خرجت من البيت وآليت على نفسى أن لا أعود إليه ثانية . لقد ألقيت شبكتى طامعاً بالسمكة الجميلة ولكنى لم أعثر إلا على سلحفاة بشعة . ولقد خشيت أن ألقيها ثانية فأعثر على ثعبان يقضى على حياتى . لقد خرجت من البيت بعد أن نذرت التوبة عن الحب . نعم لقد تبت ولقد مضى على سنون عدة ركن قلبى خلالها للسكينة ، وارتاح للهدوء لولا بعض نزوات كانت تعتاده فى الفترات فيتحرك بين أضلاعه ، ويحاول الانطلاق من أغلال التوبة ولكنه سرعان ما يذكر العيون الزرقاء ، ويتخيل « نانو » العجوز ؛ فيعود إلى هدوئه ويخلد إلى سكينته وهو يقول : « إنى تبت عن الحب منذ زمن بعيد ... »

(حماه — سوريا) زهدى السواف

محمد حسن عبس :

يقدم قصته

« صـــراع »

صراع بين العاطفة والعقل بين المادة والروح

قصة البشرية

يصورها المؤلف بأسلوب شاعرى أخاذ

« أنا أغمس قلمى فى دماء قلبى . . .
وأعصر مادة الكتابة من فم الحياة »
« عبس »

يطلب من دار الرسالة

الثمن ١٠ قروش عدا أجرة البريد